

Alienation between Philosophy and Sociology: A Theoretical Study

Jasem Mohammed Almazrouei U22102570@sharjah.ac.ae

Department of Sociology - College of Arts, Humanities and Social Sciences -
University of Sharjah – UAE

Asst. Prof. Raouf Kaouache (Ph.D.) rkaouache@sharjah.ac.ae

College of Art, Sciences and Information Technology - University of Al
Dhaid – UAE

Copyright (c) 2024 (Jasem Mohammed Almazrouei. Asst. Prof. Raouf Kaouache
(Ph.D.)

DOI: <https://doi.org/10.31973/8c752b49>



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:

This study tends to describe the development stages of alienation from philosophy to sociology, and to shed light on the transformations that have occurred in the concept from different aspects. The study adopts a descriptive approach and deals with three stages of the development of the idea of alienation, starting with the philosophical stage represented by the efforts of “Thomas Hobbes”, “John Locke”, “Jean-Jacques Rousseau”, and “Friedrich Schiller” which included the intellectual contributions explained alienation based on the legal and religious context. Followed by the Hegelian stage represented by “Friedrich Hegel” where alienation turned into a concept concerned with studying the core of human reality, and arrived at the scientific stage, which contained the contributions of sociologists in the fields of work, bureaucracy, and the social system. “Marx” looked to alienation as a social-historical phenomenon linked to the social and economic conditions of capitalist society, while “Durkheim” explained it by the absence of social standards. Also, “Fromm” explained it as a loss of freedom which is a result of societal control and technological development. Finally, “Seeman” presented the concept *basic* and derived meanings of alienation, which led to extract five independent elements. Reaching the Islamic stage, contributions of Islamic thought regarding the concept of estrangement have been presented. Among these contributions are those of “Ibn al-Qayyim” who views estrangement as a path to reaching Allah, “Ibn Bajjah” who links estrangement to the virtuous city, and “Abu Hayyan” who depicts estrangement as isolation. These perspectives offer diverse and nuanced insights into the phenomenon of estrangement within Islamic philosophical discourse. In general, the results revealed the transformation of alienation from a theoretical philosophical to a scientific and applied topic that can be studied and analysed from a social perspective through three stages, and a result of the intellectual contributions of many philosophers and scientists.

Keywords: alienation, philosophy, sociology

الاغتراب بين الفلسفة وعلم الاجتماع: دراسة نظرية

أ.م.د. رؤوف كعواش

جامعة الذيد - كلية الآداب، العلوم
وتكنولوجيا المعلومات

الباحث جاسم محمد سعيد المزروعى

جامعة الشارقة - كلية الآداب والعلوم
الإنسانية والاجتماعية - قسم علم
الاجتماع

(مُلَخَّصُ البَحْث)

هَدَفَت الدراسة إلى وَصْف مراحل تطوّر موضوع الاغتراب من الفلسفة إلى علم الاجتماع، وتَسْلِيْط الضوء على التحوّلات التي طرأت على المفهوم ومن جوانب مختلفة. تمّ اعتماد في هذه الدراسة المنهج الوصفي. وقد تناولت أربع مراحل لتطوّر فكرة الاغتراب تبدأ بالمرحلة الأولى وهي المرحلة الفلسفية؛ متمثلة بإسهامات "توماس هوبز" و"جون لوك" و"جان جاك روسو" و"فريدريك شيلر" وهي المرحلة التي تمّ تفسير الاغتراب فيها بالاستناد الى السياق القانوني والديني، تليها المرحلة الهيجلية؛ وهي المرحلة التي يزعمها الفيلسوف "فريدريك هيجل" إذن تحول الاغتراب الى مفهوم يهتم بدراسة واقع وجودي متجذّر في الانسان، ثم المرحلة العلمية؛ وهي المرحلة المتمثلة بإسهامات علماء الاجتماع في مجال العمل، البيروقراطية والنسق الاجتماعي العام. فقد عد "ماركس" الاغتراب ظاهرة اجتماعية تاريخية، ومرتبطة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الرأسمالي، في حين فسره "دوركايم" بغياب المعايير الاجتماعية. أيضا فسره "فروم" بفقدان الحرية نتيجة سيطرة المجتمع والتطوّر التكنولوجي. وأخيراً توصل "سيمان" الى وجود معنى أساس ومعان مشتقة لمفهوم الاغتراب قاده الى استخلاص خمسة عناصر مستقلة. وصولاً إلى المرحلة الإسلامية؛ وهي المرحلة التي تم طرح إسهامات الفكر الإسلامي حول موضوع الاغتراب كإسهامات "ابن القيم" الذي يرى بأن الاغتراب هو طريق للوصول الى الله، و"ابن باجة" الذي ربط الاغتراب بالمدينة الفاضلة، و"ابي حيان" الذي صور الاغتراب على أنه الانعزال.

بشكل عام، أظهرت النتائج تحول الاغتراب من كونه فكرةً فلسفيةً نظرية إلى موضوع علمي وتطبيقي دراستها وتحليلها من منظور اجتماعي عبر مراحل ثلاث بفضل الإسهامات الفكرية لعدد من الفلاسفة والعلماء، إذ اعتمد كل منهم المرحلة التي سبقت تطوير فكرة الاغتراب. وقد صاغ كل منهم مفهومه الخاص حول الاغتراب استناداً إلى أفكاره النظرية.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، علم الاجتماع، الفلسفة.

مقدمة:

يُعد موضوع الاغتراب واحداً من المواضيع المهمة على مر العصور. فقد اهتم فلاسفة العصور القديمة والوسطى بمفهوم الاغتراب وتأثيره على الفرد والمجتمع. أما في العصر الحديث فقد تزايد اهتمام العلماء بظاهرة الاغتراب لدى فئات وطبقات اجتماعية مختلفة، كما أسهم تطور علم الاجتماع بدءاً من القرن التاسع عشر في تحول منهج دراسة موضوع الاغتراب إلى المنهج العلمي الاجتماعي. فقد أهتم علماء الاجتماع بتحليل عوامل الاغتراب وتأثيراته على الفرد والمجتمع، وبناء نظريات علمية تفسر الظاهرة.

لهذا تأتي الدراسة الحالية لتسليط الضوء على التطور التاريخي لموضوع الاغتراب في الفكرين الفلسفي والعلمي عبر تحليل انتقال المفهوم من كونه مفهوماً فنياً، نظرياً، عند الفلاسفة إلى عده مفهوماً نظرياً وتطبيقياً عند علماء الاجتماع. كما يعد مفهوم الاغتراب من المواضيع التي يسهم فهم عواملها ودينامياتها في تفسير وتنبؤ عدد من الظواهر النفسية والاجتماعية الأخرى، إذ يؤدي الاغتراب إلى الشعور بالانفصال عن المجتمع، ومن ثمة ضعف الانتماء للمجتمع بشكل يؤثر على العلاقات الاجتماعية للأفراد.

وقد تناول عدد من المفكرين والمنظرين موضوع الاغتراب ومن جوانب مختلفة. تعرض الفلاسفة القدامى عن طريق أفكار فلسفة الحق الطبيعي إلى العلاقة بين الفرد والمجتمع، وكيفية تشكل العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والهيكل الاجتماعية في السياق القانوني والديني بشكل خاص. ركزت أفكار "هيجل" على كون الاغتراب حقيقة وجودية لدى الإنسان إيجابية وأخرى سلبية. من الناحية الإيجابية، يعد مصدر إبداع. أما من الناحية السلبية، فإنه يؤدي إلى انفصال الإنسان عن ذاته، ولقد استشف "ماركس" من أعمال هيجل فكرة الاغتراب وتدرج حتى وصل إلى تصوره حول موضوع الاغتراب وهو اغتراب الإنسان عن العمل، كما أنه تناول مفهوم الاغتراب بوصفه ظاهرة اجتماعية تاريخية. وتناول "دوركايم" فكرته حول موضوع الاغتراب على وفق تحليله لمفهوم "اللامعيارية" وهو يعني بأن الفرد لا يخضع للمعايير الاجتماعية وتنقصه قواعد يعيش بها لتنظيم رغباته وتوجيه أعماله. واستمد "فروم" رؤيته في مناقشته موضوع الاغتراب من تصورات "ماركس"، إذ قام بتطوير مفهوم الاغتراب عبر ربطه بمفهوم الحرية، إذ يرى بأن الاغتراب هو اغتراب الإنسان عن ذاته. كما قدم "سيمان" تصوره حول موضوع الاغتراب عند تصنيف وتحديد المعنى الأساس والمعاني المشتقة للاغتراب ليشمل خمسة أنواع مختلفة وهي: "العجز"، "فقدان المعنى"، و"فقدان المعايير"، و"العزلة"، و"اغتراب الذات". أما بالنسبة للفكر الإسلامي فركز ابن القيم على الغربة كتجربة للعابد، ويعد الاغتراب طريقاً للوصول إلى الله. ويرى ابن باجة ان

الاغتراب مصدر للتفكير العقلاني والتأمل ويربطه بالمدينة الفاضلة. أما ابا حيان التوحيدي فيربط الاغتراب بالانعزال والشكوى نتيجة رفضه الوضع القائم.

ويظهر من رصد التراث النظري الخاص بالاغتراب ندرة الدراسات التي عنت برصد تحولات المفهوم ضمن حقول معرفية مختلفة، والعلاقة فيما بينها. ومن هنا تأتي الدراسة الحالية لملء هذه الفجوة المعرفية عبر محاولة التعرف على المراحل التاريخية التي تحولت في إطارها فكرة الاغتراب والخصائص التي ميزت كل مرحلة.

أولاً: مفهوم الاغتراب:

لغةً: اشتقت كلمة اغتراب في اللغة العربية من الفعل غَرَبَ والذي يعني ذَهَبَ، وقال ارب عني أي ابتعد عني، وغرب وغرباً وغربة: نزح عن وطنه، والغريب هو البعيد عن وطنه، وذلك كما ورد في (المنجد في اللغة والاعلام، ١٩٧٣)، والغربة: هي مغادرة الانسان وطنه الى بلد آخر، بعد ان يكون قد هجرَ وطنه لظروف خارجة عن إرادته، وغالباً ما تتولد لديه مشاعر الحُزن والحنين للأهل والوطن (يوسف، ٢٠٢٣).

ويقابل كلمة اغتراب في اللغة الإنجليزية كلمة (Alienation)، وفي اللغة الفرنسية (Aliénation)، وفي اللغة الألمانية (Entfremdung)، وتم اشتقاق الكلمة في اللغة الإنجليزية والفرنسية من الأصل اللاتيني (Alienatio) والتي تم اشتقاقها من الفعل اللاتيني (Alienare) تعني تحويل ملكية شيء ما لملكية آخر (خليفة، ٢٠٠٣). ويضيف Sarfraz، ١٩٩٧ بأن الاغتراب يأتي بمعان لغوية أخرى مثل: الانتزاع أو الازالة أو التسبب في حدوث الانفصال.

اصطلاحاً: يُعد مفهوم الاغتراب من المفاهيم المتعددة التي تنطوي على جوانب ومعان عديدة، وقد تطور الاهتمام بضبط هذا المفهوم عبر اذعانه لاتجاهات فكرية عديدة. يرى المحسن والسعوي، ٢٠١٥ بأن الاغتراب مفهوم غامض وصعب الإدراك، على الرغم من وجود الكثير من الدراسات حوله، ويأتي ذلك نتيجة كثرة المحاولات العلمية لتفسيره، وكثرة الأنساق العلمية في الدراسات الاجتماعية والإنسانية. كما يتفق الكثير من الباحثين على أن مفهوم الاغتراب يستعمل بدلالات متعددة ومختلفة بسبب كثرة الاتجاهات التي تناولته بالبحث والدراسة (بن زاهي والشايب، ٢٠٠٦).

الاغتراب: هو حالة نفسية اجتماعية يعيشها الفرد وتسيطر عليه بشكل تام، فيشعر بأنه شخص غريب عن مجتمعه، ومنسلخ عن واقعة ومحيطه، ويعيش في عالم المثل والخيال، على الرغم من انه لا يزال بين الأهل وفي أرض الوطن (يوسف، ٢٠٢٣).

ويعرف الرواشدة والعرب (٢٠٠٩) الاغتراب على أنه ظاهرة اجتماعية يشعر فيها الشاب بالوحدة والعزلة والبعد عن الذات وعن مشاعره وأفعاله وأدائه. ويعرفه الدكتور صلاح الدين الجماعي (٢٠٠٧) على أنه شعور المرء بالانفصال عن الكل الاجتماعي الذي ينتمي إليه، كما أنه انعكاس لوضع الفرد في المجتمع من جزاء العقوبات التي يوقعها الناس بغيرهم ممن خرجوا عن المعتقدات والتقاليد السائدة في المجتمع.

يُعرف "فريدريك هيغل Friedrich Hegel" الاغتراب في كتابه "ظواهر الروح" (١٨٠٧) على أنه حالة حتمية، أو حالة أولية لوعي الإنسان. فهو يرى بأن الفرد لا يُدرك وجود الوعي في بدايته إلا بعدَ الإعراف بوجود الآخرين. (Hegel, 1979)

كما يُعرفه "كارل ماركس Karl Marx" على أنه انفصال الإنسان عن ذاته وعن طبيعته الإنسانية ومنتجاته الخاصة. يربط هذا الانفصال بالظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الرأسمالي الصناعي (Marx, 1844).

ومن وجهة نظر "إريك فروم Erich Fromm" إلى الاغتراب في كتابه "المجتمع السوي" (١٩٥٥) يرى بأنه نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان نفسه كالغريب، إذ إنه لم يعد يعيش نفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله، بل إن أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم، أو الذين حتى قد يعبدتهم (حماد، ٢٠٠٥).

ثانياً: مراحل تطور موضوع الاغتراب:

يرى كل من علي شتا، ٢٠٠٤ وعبد اللطيف خليفة، ٢٠٠٣ أن مراحل تطور فكرة ومصطلح الاغتراب تعزو إلى ثلاث مراحل، يطلق على المرحلة الأولى المرحلة الفلسفية للاغتراب والتي يجسدها كل من "هوبز" و"لوك" و"روسو" و"شيلر"، تليها المرحلة الثانية، والتي أطلق الباحثون عليها بالمرحلة الهيجلية، إذ بدأت مع الفيلسوف الألماني "هيغل" في القرن الثامن عشر، وتأتي المرحلة الثالثة وهي المرحلة العلمية كما يطلق عليها البعض بمرحلة التكوين (الموسوي، ٢٠١٧) والتي تتجسد في الاغتراب عند علماء ومفكري علم الاجتماع، إذ تشكلت صورة أوضح لفكرة الاغتراب. أما بالنسبة للمرحلة الرابعة والأخيرة فهي المرحلة التي تجسد تصور الفكر الإسلامي لموضوع الاغتراب.

وفيما يأتي نستعرض المراحل الثلاث مع التطرق إلى كل مرحلة من المراحل، من حيث المعاني والدلالات التي تم نسبها لفكرة الاغتراب من الفلاسفة والمنظرين بمختلف المراحل.

١. المرحلة الأولى: (المرحلة الفلسفية)

حمل الاغتراب في هذه المرحلة معان مختلفة تشكلت ضمن سياقات ثلاثة هي: السياق القانوني بمعنى انتقال الملكية عن صاحبها وتحولها إلى آخر، السياق الديني بمعنى انفصال الإنسان عن الله، والسياق النفسي الاجتماعي بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو سائد في المجتمع (خليفة، ٢٠٠٣). في هذه المرحلة أصبح موضوع الاغتراب موضوعاً فلسفياً ونظرياً ذا أهمية كبيرة عند الفلاسفة، إذ تمت صياغة مفهوم الاغتراب بصياغات مختلفة ترجع الى سياقات متعددة، وتمثلت هذه الصياغات بأفكار فلاسفة الحق الطبيعي (عباس، ٢٠٠٣).

تبدأ فكرة الاغتراب في سياق فلسفة الحق الطبيعي بما قدمه العالم الهولندي "هوجو جروتئوس Hugo Grotius" (١٥٨٣-١٦٤٥) والذي يرى بأن الاغتراب يتعلق بنقل ملكية السلع من فرد الى آخر (عبد الجبار، ٢٠١٢). كما يعده تخلياً طوعياً يقوم به الأفراد في المجتمع، كونه ضرورة خارجية ويتساوى الأفراد في خضوعهم لها، وهو ما يمثل كسب عام بصفة اجتماعية (عباس، ٢٠٠٣).

وتتميز فلسفة الحق الطبيعي بربط مفهوم الاغتراب بمفاهيم أخرى: كالتخلي، والتنازل، والانفصال عن الحق الفردي أو نقل الحق من فرد لآخر (بريشي ويوب، ٢٠١٥). من أهم مفاهيم الاغتراب قبل عهد هيجل هو المفهوم الديني، والذي يتلخص في معنى الانفصال عن الله، وانفصال الإنسان عن الطبيعة أي المذات، وانفصال الإنسان المؤمن عن الإنسان غير المؤمن (بن زاهي والشايب، ٢٠٠٦).

١.١ الاغتراب عند "توماس هوبز" (1588-1679): Thomas Hobbes

قدم الفيلسوف الإنجليزي "هوبز" رؤية فريدة حول الاغتراب والتباعد الاجتماعي ضمن فلسفته الواسعة، التي اشتملت على تحليلاته للحالة الطبيعية للإنسان، ودور الحكومة في تنظيم التفاعلات الاجتماعية. يرى "هوبز" بأن اغتراب الفرد ينبع من طبيعة الإنسان وعلاقته بالمجتمع، كما يعده جزءاً من الحالة الطبيعية للإنسان، إذ يشير إلى أن الفرد يسعى دائماً للحفاظ على نفسه وتحقيق مصالحه الشخصية، كما روج كذلك لفكرة أن الاغتراب جزء لا يتجزأ من نزعة الإنسان الطبيعية نحو الصراع والتنافس، يرى الإنسان في حالته الطبيعية بأنه يتسم بحالة من الحرب الدائمة والتنافس على الموارد من أجل البقاء، وهو ما يفسر توجه الفرد نحو الاغتراب، ويتجنب الترابط الاجتماعي الزائد من أجل بقائهم وتحقيق مصالحهم الشخصية. (Hobbes, 1998).

ينظر "هوبز" إلى الاغتراب كونه ظاهرة تتبع من الحالة الطبيعية البشرية والتفاعلات الاجتماعية، كما يرجعه إلى الحرب والتنافس في المجتمع، ويؤكد على ضرورة وجود سلطة لتنظيم هذه التفاعلات والحفاظ على النظام الاجتماعي القائم، ونلاحظ بأن أخذ "هوبز" منحى آخر عن "جروتيوس".

١.٢ الاغتراب عند "جون لوك" (1632-1704): "John Locke"

وضع الفيلسوف الإنجليزي "لوك" نظريته حول الدولة والسلطة والقانون والتي تعد من أهم نظريات القرن السابع عشر في فلسفة الحق الطبيعي، فقد قدم مفهومًا متطورًا حول الاغتراب يستند إلى فهمه للحقوق الطبيعية والحرية الفردية، وتناول "لوك" في أعماله الفلسفية مسألة الاغتراب عبر تسليط الضوء على دور الحكومة والحقوق الأساسية للفرد، وفي كتابه "مقالتين إلى الحكومة" "Two Treatises of Government" أكد على أن الأفراد يولدون أحرارًا، ولديهم حقوق طبيعية مثل: حق الحياة، والحق في الحرية، وحق الملكية. يرى "لوك" أن الاغتراب ينشأ عندما تنتهك الحكومة حقوق الأفراد كما يعد لوك الحكومة أداة لحماية حقوق الأفراد، وإن الاغتراب محصلة لتجاوز الحكومة لسلطاتها للحقوق الأساسية للأفراد. (Locke, 1988).

يُفسر "لوك" الاغتراب عبر ربطه بانتهاك الحقوق الطبيعية للأفراد، وتراجع الثقة بينهم وبين الحكومة، كما يتجلى في تفكك النظام الاجتماعي، نلاحظ وجود تقارب بين فكرة الاغتراب عند "لوك" ولدى "هوبز"، إذ تعرض كلاهما إلى المعنى القانوني للاغتراب.

١.٣ الاغتراب عند "جان جاك روسو" (1712-1778): "Jean Jacques Rousseau"

يُعد "روسو" من أهم الفلاسفة الفرنسيين الذين درسوا فكرة الاغتراب قبل هيجل، وفكرة الاغتراب ترد لديه بمعنيين، المعنى الأول يرد في كتابه "العقد الاجتماعي" "The Social Contract" لتعبر عن دلالة إيجابية هي الاتفاق الاجتماعي وكيف يؤدي هذا الاتفاق إلى تشكيل الحكومة. (Rousseau, 1968) أما بالنسبة للمعنى الثاني، والذي يرد في كتابه "أطروحة في أصل وأسس اللامساواة بين البشر" "A Discourse on Inequality" فيعبر عن دلالة سلبية، إذ يرى بأن الاغتراب ينشأ بشكل رئيس عندما يختل توازن الحياة الطبيعية للإنسان بفعل التأثير السلبي للمجتمع المنظم، كما يرى "روسو" أن الفرد يفقد حالته الطبيعية نتيجة للتأثيرات السلبية للمجتمع (Rousseau, 1984). يعبر عن هذا التأثير بمفهوم "الاغتراب الاجتماعي"، فيتحول الإنسان من حالة الحرية إلى حالة من العبودية والتشوه الاجتماعي. وفي عمله "الإنسان الطيب بالفطرة" استكشف "روسو" كيف يمكن أن يؤدي الاغتراب إلى تشويه الحالة الطبيعية للإنسان وتداوله مع الآخرين.

ضمنَ هذا السياق، يمكن فهم وجهة نظر "روسو" حول الاغتراب، إذ يرى بأن الاغتراب يشيرُ إلى فقدان الإنسان لحالته الطبيعية وتأثيره السلبي على العلاقات الاجتماعية. وينظر إلى الإنسان في حالته الطبيعية بوصفه البريء، يتأثر سلباً بالتطور الاجتماعي والثقافي. كما يرى بأن الاغتراب ينشأ بسبب القيود والتشدد في المجتمع المدني، فتتسبب الممتلكات الخاصة والتفاوت الاجتماعي في تشويه العلاقات الطبيعية بين الناس والحكومة. يفقد الإنسان حريته الطبيعية في المجتمع المدني ويجد نفسه عالقاً في نظام قائم على التفاوت والتمييز وهي الأفكار التي توافق أفكار "لوك".

١.٤ الاغتراب عند "فريدريك شيلر" (1759-1805): Friedrich Schiller

تأثر الفيلسوف الألماني "شيلر" بالمعنى السلبي للاغتراب عند "روسو"، إذ يرى بأن الإنسان الحديث يُعاني من الانفصال والغربة نتيجة التطورات المختلفة التي رافقت الثورة الصناعية، إذ يركز على تشويه صورة الحياة بتأثير روتين العمل الذي يقوم به (بنات، ٢٠٠٥). وعليه فقد الإنسان الانسجام في حياته، وأصبح يعيش حياته في غربة، كما يرى "شيلر" بأن الإنسان يعاني من الانفصال بين غرائزه الطبيعية وملكاته العقلية، وينعكس هذا الانفصال على المجتمع بشكل فوضوي.

وبالاطلاع على ما أضافه "شيلر" في موضوع الاغتراب، نرى بأنه قد تأثر بأفكار "روسو"، ولاسيما بالمعنى السلبي للاغتراب، وصياغة مفهوم الاغتراب كونه نتاجاً للثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، كما يرى بأن الاغتراب قد ارتبط بفقدان الإنسان لسيطرته في زمن الآلة، إذ أصبح لا قيمة للإنسان بوجود الآلة.

يلاحظُ المنتبِع للمرحلة الفلسفية، بأن مفهوم الاغتراب كان موضوعاً فلسفياً ونظرياً مهماً للفلاسفة الذين سبقوا "هيجل". بشكلٍ ساهم في تقديم إضافة معرفية متتابعة. تبني فلاسفة الحق الطبيعي موضوع الاغتراب وتسلسله بشكل متتابع فيما بينهم، وكل منهم أضاف على الآخر من وجهة نظره، قدم "جروتوس" مفهوم الاغتراب بوصفه نقل ملكية السلع بين الأفراد كمظهر للتنازل الطوعي. تربطُ فلسفة الحق الطبيعي مفهوم الاغتراب بمفاهيم أخرى كالتخلي والانفصال، وهو ما تطرقت إليه أفكار "هوبز" و"لوك" و"روسو" و"شيلر". ركزت فكرة الاغتراب في هذه المرحلة على الجانب الديني بشكلٍ رئيس، إذ كان يُنظرُ إليه على أنه انفصال عن الله وعن الطبيعة، وأيضاً انفصال المؤمن عن غير المؤمن.

تركز الفلسفة على موضوع الاغتراب كونه يُعد موضوعاً حيويًا لفهم العلاقة بين الفرد والمجتمع والحكومة. ينظرُ "هوبز" إلى الاغتراب بوصفه جزءاً من الحالة الطبيعية للإنسان، وهو ما ينشأ من الصراع الدائم والتنافس في سبيل البقاء. أما "لوك" فربط الاغتراب بانتهاك

الحقوق الطبيعية للأفراد من قبل الحكومة. واتفق "هوبز" و"لوك" على فحوى الاغتراب بوصفه التخلي عن الحقوق الطبيعية. وبالنسبة "لروسو" فقد نظر إلى الاغتراب على أنه نتاج للتطورات الاجتماعية التي رافقت الثورة الصناعية، وقد ارتبط في نظره بفقدان الإنسان لحالته الطبيعية وسيطرته في زمن الآلة. تأثر "شيلر" بمعنى الاغتراب عند "روسو"، إذ رأى أن الإنسان الحديث يعاني من الانفصال والغربة نتيجة التطورات المختلفة التي رافقت الثورة الصناعية.

وُفرت إسهامات المرحلة الفلسفية في موضوع الاغتراب إطاراً لفهم العلاقة بين الإنسان والمجتمع من جهة، وبين الإنسان والحكومة من جهة أخرى. كما كانت ركيزة أساسية اعتمدها "هيجل" فيما بعد في دراسة موضوع الاغتراب. كما سيتم عرضه فيما يأتي:

٢. المرحلة الثانية: (المرحلة الهيجلية):

يُعد الفيلسوف الألماني "فريدريك هيجل" Friedrich Hegel (١٧٧٠-١٨٣١) من أوائل الفلاسفة الذين استعملوا مفهوم الاغتراب استعمالاً علمياً، ومنهجياً مقصوداً ومتصلاً (خليفة، ٢٠٠٣). في كتابه "فينومينولوجيا الروح" "The Phenomenology of Spirit" سنة ١٨٠٧م، اهتم هيجل بدراسة الجانب المنطقي لمفهوم الاغتراب المتصل باستيعاب الجانب النسقي للعملية الاجتماعية التي تؤدي إلى الاغتراب كما اهتم بالجانب الديناميكي للمفهوم وكان لكل من الجانبين أهمية كبيرة في صنع الثقافة المعاصرة بعد التحولات الصناعية، وما تبعها من تحولات اجتماعية وثقافية (الموسوي، ٢٠١٧).

أشار بنات، ٢٠٠٥ إلى أن دائرة المعارف البريطانية أكدت على أن "هيجل" يرى واقع الاغتراب واقع وجودي ومتجذر في وجود الإنسان في هذا العالم. كما ينظر هيجل إلى الاغتراب على أنه حقيقة وجودية لدى الإنسان، وتنبولور في جانبين، الأول يعد اغتراباً مقبولاً، إذ إن وجوده عند الإنسان يجعله مبدعاً، أما الجانب الثاني وهو الجانب السلبي فيؤدي إلى انفصاله عن ذاته (الشрман، ٢٠١٤). يرى "هيجل" بأن الاغتراب ليس ظاهرة ثابتة أو معزولة وبدلاً من ذلك، فهو جزء متأصل من العملية التاريخية التي يتقدم عن طريقها الوعي الإنساني. وينشأ عندما يتصارع الأفراد مع التناقضات والصراعات الموجودة في سياقهم الاجتماعي والثقافي. تتضمن الحركة الجدلية حل هذه التناقضات، مما يؤدي إلى تركيب أعلى يتجاوز الحالة الأولية للاغتراب. (Hegel, 1979).

ويرى كل من بينكي وراشمي Pinki and Rashmi، ٢٠٢٠ وحמיד Hamid، ١٩٩٧ أن هيجل استعمل مصطلح الاغتراب بطريقتين مختلفتين، الطريقة الاولى: تشير إلى علاقة انفصال أو تنافر، كما قد يحصل بين الفرد والجوهر الاجتماعي، أو الاغتراب الذاتي بين

حالة الفرد الفعلية و طبيعته الجوهرية، أما بالنسبة للاستعمال الثاني للمصطلح فيشير الى الاستسلام أو التضحية بالخصوصية. الاغتراب بالنسبة "لهيجل" هو حالة تحدث عندما يحدث تغيير معين في تصور الشخص لذاته. أي إنه ليس شيئاً يفعلهُ المرء ولا النتيجة المقصودة لعمل متعمد، أما بالنسبة لفلاسفة الحق الطبيعي، فهو شيء متعمد ينطوي على التخلي أو الاستسلام.

وبتحليل أعمال "هيجل" المتعلقة بمفهوم الاغتراب يتضح لنا أنه قدم فهماً عميقاً وشاملاً لحالة الاغتراب في المجتمع. والذي يعده جزءاً من الرحلة التاريخية للفرد نحو تحقيق ذاته كما يرتبطُ الاغتراب بالتحويلات التي يمر بها الوعي البشري، ويتجلى في العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتظهر رؤية "هيجل" للاغتراب بوصفه تكاملاً بين الحرية الفردية والواجبات الاجتماعية، وإن رؤيته الشاملة تعزز فهمنا للغموض الذي يكمن وراء حالة الاغتراب، وكيف يمكن لها أن تكون جزءاً لا يتجزأ من مسيرة الإنسان نحو تحقيق حريته وتكامل ذاته في السياق الاجتماعي والتاريخي، ولاقت أفكار "هيجل" الكثير من النقد إلا أن أهم من انتقد أفكاره هو الفيلسوف الألماني "فيورباخ". Feuerbach

يعد "هيجل" الاغتراب جزءاً من الرحلة التاريخية للفرد نحو تحقيق ذاته، وتركز رؤيته على العلاقة بين الفرد والمجتمع. كما تبرز كيف يمكن للاغتراب أن يكون جزءاً من مسيرة الإنسان نحو تحقيق حريته وتكامل ذاته في السياق الاجتماعي والتاريخي.

يمكننا القول بأن الفيلسوف الألماني "هيجل" كان من بين أوائل الفلاسفة الذين استعملوا مفهوم الاغتراب بطريقة علمية ومنهجية، في دراسته في "فينومينولوجيا الروح". كما أنه ركز على الجوانب المنطقية والديناميكية لمفهوم الاغتراب. يرى "هيجل" الاغتراب بوصفه واقعا وجوديا للإنسان في هذا العالم، ويربطه بتحويلات الوعي الإنساني والعلاقة بين الفرد والمجتمع. بفهمنا لأفكار "هيجل" حول الاغتراب، نكتسب فهماً أعمق للغموض الذي يكتنفه. وعلى الرغم من النقد الذي وجهه لأفكار "هيجل"، فإن إسهاماته الفلسفية تظل حاضرة ومؤثرة في فهم ظاهرة الاغتراب ودورها في تطور الإنسان والمجتمع، كما أسهم في وضع تصور منهجي وعملي لموضوع الاغتراب تأثر به عدد من العلماء في المرحلة التي عالجتها الموضوع باعتماد المنهج العلمي.

٣. المرحلة الثالثة: (المرحلة العلمية)

تحول مفهوم الاغتراب في هذه المرحلة من مفهوم نظري الى مفهوم تطبيقي متخذاً أشكال متعددة لدى علماء الاجتماع. بدأت النظرة الأحادية لمفهوم الاغتراب، إذ تم التركيز على المفهوم السلبي للاغتراب وتجاهل المفهوم الإيجابي، كما اقترن مفهوم الاغتراب في

هذه المرحلة بسلب المعرفة والحرية، وأخذ بالتطور على وفق منظورات فكرية مختلفة ومتعددة نورد منها ما يأتي:

٣.١ الاغتراب عند "كارل ماركس" (1818-1883): Karl Marx

ظهر مفهوم الاغتراب عند "ماركس" لأول مرة في مخطوطته "المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام ١٨٤٤"، ثم ظهر في كتابه "رأس المال" سنة ١٨٦٧، وعلى الرغم من تأثره بأفكار "هيجل" إلا أنه رفض تفسيراته الفلسفية للاغتراب وعدها تفسيرات مجردة ومثالية. يعد "ماركس" أول من تناول مفهوم الاغتراب بوصفه ظاهرة اجتماعية تاريخية لهذا فقد حاول تفسير هذه الظاهرة بوصف الإنسان كائنًا اجتماعيًا وتاريخيًا، وإن الطبيعة الإنسانية ما هي إلا محصلة العلاقات الاجتماعية التسلطية والاستغلال لهذا الإنسان من الآخرين (الشرمان، ٢٠١٤). ويعرف "ماركس" الاغتراب على أنه انفصال الإنسان عن ذاته وعن طبيعته الإنسانية ومنتجاته الخاصة (Marx، ١٨٤٤) إذ يربط هذا الانفصال بالظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الرأسمالي الصناعي.

تدرج "ماركس" في تحليلاته الدينية والسياسية والاقتصادية لمفهوم الاغتراب حتى توصل إلى اغتراب الإنسان عن العمل. ومن ثم فإن الإطار العام للمشكلة لدى "ماركس" هو دراسة معاناة العامل في ظل النظام الرأسمالي (Marx، ١٨٤٤). لقد أرجع ماركس الاغتراب إلى الواقع الاجتماعي والبناء الاجتماعي للمرحلة التي يمر بها المجتمع، ولا يمكن فهم هذا الواقع إلا من خلال النظر إلى البناء الاجتماعي ككل (بنات، ٢٠٠٥). ويذهب في تفسيره إلى أن بعض الأفراد يغتربون عن أعمالهم لأسباب موضوعية تكمن في علاقات الإنتاج ونسق السيادة الطبقي، مما يؤدي إلى انفصالهم عن العمل أو نتائجه. يعرض "ماركس" للاغتراب عن الطبيعة وعن ذواتهم في الوقت نفسه، ومعنى ذلك أن العمل يعد شيئًا خارجيًا عن العامل، وليس جزءًا من طبيعته، مما يخلق عنده شعورًا بالبوؤس وعدم الرضا على الوضع القائم، بشكل يقوده إلى الاغتراب (خضر، ٢٠١١).

كما اهتم "ماركس" بفكرة تقسيم العمل في المجتمع، فيرى بأنه من أهم العوامل التي تؤدي إلى الاغتراب. وتنتهي العلاقة التفاعلية بين العامل وإنتاجه، فالعامل يرى في عمله مجرد وسيلة لسد حاجاته اليومية من دون أن تكون لديه فرصة للإبداع أو تحقيق اكتفاء ذاتي. يعد العامل العمل في حد ذاته نشاطًا حيويًا وجزءًا من ذاته، ولكنه عندما يتقاضى أجرًا، يكون قد باع نشاطه لشخص آخر، وعليه يفقد العامل الرؤية التكاملية لعمله ويشعر بالتعاسة، إذ يرى عمله كتضحية لحياته، كما يشعر بأنه باع جزءًا من ذاته كسلعة لصاحب العمل (عايدي، ٢٠٢٢).

وأشار ميلود (٢٠١٥) الى تناول ماركس الاغتراب الذي يصاحب العمليات الإنتاجية في المجتمعات الرأسمالية والذي يشمل أربعة جوانب رئيسية، هي:

١. اغتراب العامل عن علاقته بمنتجاته: يشير إلى كيف يفقد العامل في المصانع أو المؤسسات صلته الفاعلة بالسلع والمنتجات التي يقوم بإنتاجها، و يصبح العمل مجرد وسيلة للبقاء على قيد الحياة من دون أن يحمل أية هوية شخصية.
٢. اغتراب العامل عن عمله: يشير إلى كيف يفقد العامل السيطرة على عمله، وكيف يصبح العمل جزءا من عملية الإنتاج الضخمة، مما يقلل من قيمته الفردية كعامل.
٣. اغتراب العامل عن الطبيعة: يتحدث عن كيف يفقد الفرد الاتصال بالطبيعة، ويجبر على استغلال الموارد الطبيعية بطريقة غير مستدامة في سبيل تحقيق أهداف الإنتاج الرأسمالي.

٤. اغتراب العامل عن ذاته: يشير إلى فقدان الفرد هويته وتميزه الشخصي، إذ يصبح الفرد مجرد جزء من القوى العاملة المجردة، وتفقد شخصيته الفردية.

بوجه عام، يعد "ماركس" الاغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية، فيتم استغلال الفرد وحرمانه من جوانب الحياة التي تعزز هويته وتحقق طموحاته الشخصية. ونرى بأنه قد أسهم في توضيح مفهوم الاغتراب بشكل كبير وتحويله الى مفهوم تطبيقي عبر ربطه بالعامل. مما يعطي صبغة إمبريقية للمفهوم.

٣.٢ الاغتراب عند "إميل دوركايم" (Emile Durkheim) (١٨٥٨-١٩١٧):

يُنظر إلى أفكار "دوركايم" حول "اللامعيارية" على أنها تعكس فكرة الاغتراب بسبب اهتمامه بدراسة توافق الفرد وتكامله مع المجتمع. فقد اهتم بالعقل الجمعي والتكامل الاجتماعي، والتضامن الاجتماعي. يربط "دوركايم" أزمة النظام في المجتمع المعاصر بغياب العنصر المعياري أو التماسك المعياري، ويرى بأن الصراع الطبقي الذي ساهم في نقل المجتمع من المرحلة الإقطاعية إلى المرحلة البرجوازية فقد مسوغاته والغرض من وجوده، وأصبحت لديه أبعاد أخلاقية. وإن الصراع الطبقي أصبح لا يؤدي الدور الذي كان يؤديه سابقا بوصفه أخلاقيا، ويضيف بأن المجتمع الصناعي الجديد يعاني من أزمة ليست فقط اقتصادية، بل أيضا أخلاقية. وفي دراسته للانتحار يرى بأنه من الممكن أن يكون الاغتراب ناتجا عن فقدان الاتصالات الاجتماعية وتفكك الروابط الاجتماعية، والذي يمكن أن يكون أيضا نتيجة انعدام التكامل في المجتمع ((Durkheim, 1897). يُرجع "دوركايم" اغتراب الفرد الى إخفاقه في الأخذ بالمعايير الاجتماعية التي تتحكم بالتصرفات الاجتماعية داخل

المجتمع الذي يعيش فيه، ويؤثر الجهل بهذه المعايير أو عدم الأخذ بها في عزلة الفرد وانفصاله عن المجتمع (خضر، ٢٠١١).

تستمد رؤية "دوركايم" ركائزها التي أقام عليها نظريته حول تصوره حالة "اللامعيارية" من نظريته للخصائص الجوهرية للإنسان ذاته، والتي تتسم بخصائص فيزيقية وأخلاقية واجتماعية، وإن ما يتحكم في الفرد بشكل أساس هو العقل الجمعي. كما يزداد هذا الخضوع والامتثال للمجتمع بتعاظم رفضه لغرائزه وطبيعته الفيزيقية. فالفرد الذي يعاني من "اللامعيارية" هو فرد لا يخضع للمعايير الاجتماعية وتنقصه قواعد يعيش بها لتنظيم رغباته وتوجيه أعماله، وإن العلاقات الاجتماعية تمثل وضعاً سويًا يحقق الضبط الاجتماعي الذي يؤدي غيابه إلى تدمير التركيب الذاتي للفرد ويعود إلى الفوضى الاجتماعية (بريشي ويوب، ٢٠١٥).

دعا "دوركايم" في مؤلفه "تقسيم العمل بين نمطي التضامن الاجتماعي" إلى فهم التقسيم في العمل بوصفه ظاهرة اجتماعية تتأثر بتطور المجتمع. كما ركز على الفروقات بين المجتمعات القائمة على التقسيم في العمل وتلك التي تتسم بتكامل الوظائف. ويرى أن التقسيم الشديد في العمل قد يؤدي إلى فقدان الهوية الفردية وتقليل الربط الاجتماعي. ويرى أن النقص في التماسك المعياري يؤدي إلى فقدان التوجيه الأخلاقي والقيم في المجتمع، وتتجلى هذه الأزمة في انهيار الروابط الاجتماعية وانعدام التأزر بين الأفراد، مما يؤدي إلى حالة من اللامعيارية والفوضى الأخلاقية، التي تُعد مصدراً من مصادر الاغتراب وعدم توافق الفرد مع مجتمعه (شتا، ١٩٩٣).

وبالنظر إلى تصور "دوركايم" حول موضوع الاغتراب نلاحظ بأنه وظف فكرة الاغتراب في مصطلح "اللامعيارية". يُقدم دوركايم تحليلاً لظاهرة الاغتراب في المجتمعات الصناعية الحديثة، مشيراً إلى أهمية التماسك المعياري في منع حالات الفوضى وعدم التوافق الاجتماعي. تعكس أفكار دوركايم اهتماماً بالعلاقة بين الفرد والمجتمع، وتسلط الضوء على الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لهذه العلاقة. يُظهر دوركايم كيف يمكن أن يكون الاغتراب ناتجاً عن غياب التواصل الاجتماعي وفقدان الروابط الاجتماعية، مما يؤدي إلى تفكك التكامل الاجتماعي بين الأفراد.

٣.٣ الاغتراب عند "ماكس فيبر" (1864-1920) Max Weber

أشار "فيبر" إلى مفهوم الاغتراب بشكلٍ ضمني في نظريته حول البيروقراطية، إذ ركز على النزعة العقلانية التي تُميز هذا النظام الإداري وتأثيرها على ثقافة الأفراد. عد "فيبر" النزعة العقلانية للبيروقراطية تشكلاً تهديداً للإبداع والتحرر، وإنها تؤدي إلى تدمير العقل

الإنساني واستنزاف حريته ومعرفته. يُعد العجز وفقدان السيطرة حالة عامة تتجاوز إطار العمل لتشمل جميع جوانب العلاقات الاجتماعية. كما يرى بأن يصبح الفرد عاجزاً أمام الدولة حتى في المجتمعات الديمقراطية، إذ تُسيطر الدولة على الفرد بدلاً من العكس. تظهر النزعة العقلانية البيروقراطية كظاهرة مُعقدة، تُفرض سيطرتها على جميع جوانب الحياة الحديثة، تجبر الأفراد على تحقيق أهداف تتعلق بالمصلحة الجماعية بدلاً من الفردية. ينعكس ذلك في التمييز الواضح والفصل بين علاقات الإنسان في أثناء أدائه لوظيفته وبين علاقاته وقدراته الشخصية، مع التأكيد على التفرقة الواضحة بين العمل والمنزل. وتتسم البيروقراطية الحديثة ببعض المظاهر التي تعبر عن الاغتراب وهي سلب الحرية، الانفصال وفقدان السيطرة (ليلة، ٢٠١٤).

يرى "فيبر" أن من أهم العوامل المساهمة في ظاهرة الاغتراب لدى الأفراد في المجتمع هو فقدان الحرية. كما يشير إلى أن عدم مشاركتهم في صنع القرارات المتعلقة بأمور يوجد لديهم شعوراً بالغربة تجاه الواقع الذي يعيشونه، ويجعلهم يشعرون بحرمانهم من حقوقهم الأساسية. يعود الاغتراب من وجهة نظره إلى ثورة التكنولوجيا والتقدم العلمي الذي وسع دائرة استعمال الإنسان للألة، وبذلك اتسعت دائرة التنظيم البيروقراطي للعمل، إذ يرى أن التنظيمات ذات الطابع العلمي استبدلت التنظيمات التقليدية، الأمر الذي أثر بشكل سلبي على العلاقات الإنسانية وإلى سيطرة أكبر على الإنسان وتقييده، وقتل روح الإبداع لديه (شتا، ١٩٩٣).
 باعتماد تحليلات "فيبر" نستنتج بأن البيروقراطية ظاهرة تتجاوز لتمتد تأثيراتها إلى الفرد وعلاقته بالمجتمع، مما يسهم في حدوث حالة الاغتراب وفقدان السيطرة الفردية. وبذلك نجد أنه يرى بأن البيروقراطية تفرض قيوداً حادة على حرية الأفراد الشخصية والاتصال بمعانيه وأهدافه الشخصية بشكل يؤدي إلى ضعف الاندماج في هيكل إداري صارم.

٣.٤ الاغتراب عند "تالكوت بارسونز" (1902-1979): Talcott Parsons

يُنظر "بارسونز" إلى النظام العام بوصفه أنساق الفعل والأنماط الثقافية والمعايير والقيم التي تكتسب معنى معيناً لدى الفرد وأنشطته التي يزاولها، إذ اندمجت في الشخصية، وفي نظم المجتمع وثقافته (كيران، ٢٠٠٩).

يشير "بارسونز" إلى أهمية تحقيق التكامل والتوازن في النسق الاجتماعي لضمان استقرار المجتمع وتفايدي الصراعات والفوضى، وبهذا تتضح أهمية التفاعل بين النظام الاجتماعي والشخصية الفردية، كما يؤكد على أن تناغم الفعل والأنماط الثقافية والمعايير والقيم في المجتمع، يتطلب التوافق مع السمات الفردية لكل فرد، كما يركز على أن النظام الاجتماعي يستند إلى التفاعل الديناميكي مع الأفراد. كما يرى أن مشكلة النظام تنشأ نتيجة

اختلال أو ضعف في عملية الاندماج أو عدم تطورها، إذ يظهر هذا الاختلال أساساً في عدم التوافق مع المعايير التي يعترف بها أو يستند إليها النظام. ينتج هذا الوضع عن غياب التماسك حول القيم المعترف بها، مما يؤدي إلى ظهور حالة من اللامعيارية والفوضى. كما يعتقد أن تقليص الصراع داخل النسق يمكن تحقيقه عبر استناد العملية المؤسسية إلى سلم يحدد الأولويات المشروعة التي يجب على النسق تحقيقها، مما يضيف ترتيباً وتوجيهاً (Howard, 1991).

يرى "بارسونز" أن الاغتراب هو نتيجة لاختلال التكامل والتوازن في النسق الاجتماعي، ويعده حالة من التفاعل بين النظام الاجتماعي والشخصية الفردية، صاغ "بارسونز" رؤيته للعلاقة بين حالة فقدان المعايير "الانومي" وبين ما أسماه بالعملية المؤسسية النسقية عبر تصوره لأساس النظام من ناحية، ومشكلته من ناحية أخرى. كما يرى أن الاغتراب يشير إلى انفصال الفرد عن ذاته، واعتماد ما يريده معايير أخلاقية التي تعين قبلاً أنماط سلوكه (كيران، ٢٠٠٩).

وبتحليل ما قدمه "بارسونز" نرى بأنه يعد حالة الاغتراب نتيجة فشل الفرد في تحقيق التكامل والتواصل الاجتماعي في مجتمعه. ويعد الاندماج في المجتمع أمراً أساسياً في الاستقرار الاجتماعي، وعندما يفقد الفرد هذا التواصل الفاعل، ينشأ شعور بالعزلة عن الآخرين مما يؤدي بالفرد إلى تحمل مسؤولية كبيرة في تكوين الروابط الاجتماعية وأداء دوره المجتمعي بشكل فاعل لتحقيق التواصل بشكل إيجابي مع الآخرين.

٣.٥ الاغتراب عند "إريك فروم Erich Fromm" (١٩٠٠-١٩٨٠):

استند عالم الاجتماع الأمريكي "فروم" في دراسته لظاهرة الاغتراب إلى تصورات "ماركس"، وقد قام بتطوير المفهوم عبر ربطه بمفهوم الحرية (جمعة، ٢٠١١). ويشير إلى أن سلب الحرية هو الاغتراب في حد ذاته. وقد توصل إلى تحديد المعنى الأساس عبر النظر إلى الاغتراب من زاوية اغتراب الإنسان عن ذاته، وفقده للحرية حينما تتم السيطرة عليه من المجتمع، إذ يفقد القدرة على تبني سلوكيات معينة خاصة به. حدد مفهوم الاغتراب في كتابه "المجتمع السوي" (١٩٥٥) على أنه نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان نفسه كالعريب، فهو لم يعد يعيش نفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله، بل أن أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم، أو الذين حتى قد يعبدهم (حماد، ٢٠٠٥).

يرى "فروم" أن التقدم التكنولوجي السريع يحمل تأثيرات سلبية على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. وهذا التقدم يجعل الإنسان أسيراً للتكنولوجيا التي صنعها. كما يرى بأن الإنسان يعتقد غالباً أن هذه التكنولوجيا ستجلب له السعادة، ولكنه في الواقع يفقد معنى

الحرية وجوهرها. ويصبح اسيراً للآلات التي اخترعها، فتعمل هذه التكنولوجيا على فقدان الإنسان للاتصال والتفاعل مع الآخرين، مما يجعله يعيش في حالة من العزلة والعجز والانفصال عن المجتمع. تجعله هذه الحالة يحاول الهروب من حريته التي أصبح يعاني منها ويتجه نحو كيانات أكبر منه، إذ يشعر بالأمان والانتماء. من أجل التغلب على الاغتراب والانفصال والعجز الذي يعانيه عند التفاعل مع التكنولوجيا. كما يربط "فروم" بين مفهوم الاغتراب بالعلاقات الاجتماعية والانتماء الاجتماعي. ويرى بأن الاغتراب محصلة فقدان الفرد الاتصال بالعالم الخارجي والتفاعل مع الآخرين. يترتب على الانعزال عن المجتمع وفقدان الانتماء شعور بالتشتت والعزلة وفقدان الهوية الاجتماعية. يظهر اهتمام "فروم" بتوظيف الإنسان في سياق التطور الرأسمالي، وكيف يعاني من الاغتراب في هذه الهيكلية عندما يتأثر باستبداد رب العمل، مع فقدان حريته (فروم، ٢٠٠٦).

ويرى "فروم" أن الاغتراب يحدث عند فقدان الفرد الاتصال بالعالم الخارجي، وعدم تفاعله مع الآخرين. كما أنه قد يكون نتيجة إحساس الفرد بالذنب (فروم، ٢٠٠٦). أدت جهود "فروم" الفكرية حول موضوع الاغتراب إلى تحديد مصدر أو أساس اغتراب الذات من وجهة نظره عن طريق ما يأتي:

أولاً: الحرية السلبية: تعني التحرر من القيود والسلطات الخارجية المختلفة، ويشير إليها "فروم" على أنها حرية ذات معنى كمي أي أنها تجيب على التساؤل عن كم الحرية التي أحرزها الفرد، وذلك يوجد هدفاً في ذات الفرد ليتحرر من كل ما يحد استقلاليتة وحريته، وذلك يؤدي الى التجرد من الروابط المتعددة كافة، ونتيجة لذلك يتولد لدى الفرد الوحدة والعزلة والقلق.

ثانياً: الحرية الإيجابية: تعني التحرر الكامل من جميع السلطات التي تُقيد الفرد، الخارجية والداخلية على حد سواء، وهنا يشير "فروم" إلى أنها حرية كيفية فهي لا تعنى بكم الحرية التي يمتلكها الفرد بقدر ما تعنى بكيفية استطاع الفرد أن يكون نفسه ويحقق ذاته (حماد، ٢٠٠٥).

يعد "فروم" الإنسان المغترَب بأنه يفقد قدرته على التعبير عن ذاته كمبدع لأعماله، بل يجد نفسه تحكم أعماله ونتائجها، ويصبح أسيراً لتلك النتائج التي يجب عليه أن يطيعها. يقوم هذا الإنسان بالتصرف كوكيل لنفسه، وقد يكون لهذا التصرف سياسية، ولكن قد يكون أيضاً سلطةً للتقاليد والعادات والأخلاق. كما يرى "فروم" أن هذه السلطة قد تكون خفية وغير معلنة، وتستند إلى قوانين خاصة تشكل شخصية الفرد وتفقد هويته. يظهر هذا النوع

من السلطة الخفية كلهم طبيعي يتسلل إلى فكر الفرد، حارماً إياه القدرة على التفكير بحرية (جمعة، ٢٠١١).

وبالاطلاع على ما قدمه "فروم" حول موضوع الاغتراب يتضح لنا بأنه قدم دراسة متعمقة، فاستلهم تصورات من الفلسفة الاقتصادية والاجتماعية "لماركس" وقام بتطويرها، وذلك عبر ربطها بمفهوم الحرية. يرى "فروم" أن الاغتراب ينشأ من فقدان الحرية، سواء أكان ذلك بسبب السيطرة الخارجية من المجتمع أو بسبب تبعات التطور التكنولوجي. تؤكد أفكاره على أن التحولات الاقتصادية والتكنولوجية الحديثة تؤدي دوراً كبيراً في تشكيل حياة الإنسان ومجتمعه، إذ يمكن أن تؤدي إلى فقدان الاتصال بالآخرين والانفصال عن الذات، مما يسبب شعوراً بالعزلة والاعتراب.

٣.٦ الاغتراب عند "روبرت ميرتون Robert Merton" (١٩١٠-٢٠٠٣):

يُعد "ميرتون" من أهم المنظرين الاجتماعيين الذين تناولوا مفهوم "الانومي" أو "اللامعيارية" وقام بتطويره، إذ قدم إسهاماً في توسيع فكرة الوظائف لتشمل الاختلالات الوظيفية أيضاً، وهي الآثار السلبية. وأصبح لفكرة الاختلالات الوظيفية أهمية خاصة في تحليله العلاقة بين الثقافة والبناء الاجتماعي والاعتراب. عرف "ميرتون" الثقافة بأنها نظام من المعايير والقيم المشتركة بين أفراد المجتمع، بشكل مشابه لتعريف "دوركهايم" للضمير الجماعي. كما قام بتعريف البناء الاجتماعي على أنه النظام المنسق للعلاقات الاجتماعية الذي يشترك فيها أفراد المجتمع، إذ يرى بأن الاغتراب ينشأ عندما يجد الأفراد من الصعب أو المستحيل تحقيق الأهداف الثقافية المحددة بالوسائل المتاحة لديهم. (Merton, 1938)

قدم "ميرتون" تفسيراً مميزاً "للانومي" يعكس فهمه العميق للتوترات الاجتماعية والثقافية. يَعد "ميرتون" أن "الانومي" هو حالة من عدم التوافق بين الأهداف الثقافية وبين الوسائل المتاحة لتحقيقها. يشير "ميرتون" إلى أن "الانومي" ينشأ نتيجة فجوة بين الهدف الاجتماعي المشترك والطرائق المتاحة لتحقيقه. ففي مجتمع يشجع على تحقيق النجاح المالي قد يواجه الأفراد من الطبقات الاجتماعية الأدنى صعوبات في الوصول إلى فرص مماثلة للثروة والنجاح بالطرائق التقليدية المقبولة. هذا التباين بين الطموحات الثقافية والواقع الاقتصادي يمكن أن يؤدي إلى شعور الأفراد بالإحباط والاعتراب، ويزيد من ميلهم نحو اتباع مسارات غير مألوفة أو معايير غير مقبولة اجتماعياً. كما يرى ميرتون بأنه يمكن للأفراد الذين يشعرون "بالانومي" اللجوء إلى سلوكيات غير تقليدية في محاولة للتكيف مع التوترات الاجتماعية والثقافية التي يواجهونها. (Merton, 1938).

ويرى "ميرتون" بأنّ "الانومي" لا تعني "اللامعيارية" فقط، بل تعني الصراع بين المعايير الاجتماعية المختلفة، بمعنى أن حالة الاغتراب تظهر عندما يواجه الفرد أهدافاً غير متسقة، أو حينما تتناقض الأهداف الاجتماعية مع القيم السلوكية. كما أنه ينظر إلى المجتمع على أنه تفاعل بين عنصرين اجتماعيين. الأول: هو الأهداف الثقافية أو التطلعات التي يتم تحقيقها عبر النجاح في المجتمع، والثاني: هو الوسائل المؤسسية والشرعية، وهي الطرائق المقبولة اجتماعياً والمتاحة لتحقيق تلك الأهداف والتطلعات (القريناوي وآخرون، ٢٠٢٣).

يمكننا القول بأنّ "ميرتون" قد ساهم بشكل كبير في فهم موضوع الاغتراب عبر عرضه لفكرة "الانومي"، فعن طريق تحليلاته العميقة للتوترات الاجتماعية والثقافية للمجتمع استطاع أن يقدم تفسيراً مميزاً للانومي وهو عدم توافق الأهداف الثقافية والوسائل المتاحة لتحقيقها. فضلاً عن ذلك، أسهم "ميرتون" في توسيع مفهوم الوظائف ليشمل الاختلالات الوظيفية، وبذلك فهم الانومي بشكل أعمق كما يربط بين الثقافة والبناء الاجتماعي والاضطراب. اتفق "ميرتون" مع فكرة "دوركايم" بأن الاغتراب ينشأ نتيجة عدم قدرة وسائل الضبط والمعايير الأخلاقية على وضع حدود لطموحات الأفراد وتطلعاتهم. ولكنه لم يقبل فكرة أن تطلعات الأفراد تعد استجابة طبيعية بيولوجية، بل أكد أنها نزعات اجتماعية كامنة في البنية الاجتماعية ومنبثقة عنها.

٣.٧ الاغتراب عند "ميلفن سيمان" (Melvin Seeman) (١٩١٨-٢٠٢٠):

قدم عالم الاجتماع الأمريكي "سيمان" في بحثه الموسوم بـ "في معنى الاغتراب" سنة ١٩٥٩ تصوره حول موضوع الاغتراب والذي هدف إلى تصنيف ملائم للتحليل التجريبي لمفهوم الاغتراب. يرى "سيمان" بأن فكرة الاغتراب متجذرة في النظرة الماركسية لحالة العامل في المجتمع الرأسمالي، إذ يتم اغتراب العامل إلى الحد الذي تتم فيه مصادرة الامتيازات ووسائل اتخاذ القرار من رجال الأعمال الحاكمين (Seeman, ١٩٥٩). وقد اهتم أيضاً بتتبع التغيرات التي طرأت على مفهوم الاغتراب بتطويره عبر تناوله ضمن التراث السوسيولوجي، والسيكولوجي والفلسفي وتطويعه العمل التجريبي.

توصل "سيمان" إلى تحديد المعنى الأساس والمعاني المشتقة من مفهوم الاغتراب عبر اعتماد المنهج التحليلي، والذي قاد إلى تضمينه لخمس عناصر مستقلة عن التحليلات السوسيولوجية الكلاسيكية، والكشف عن الجانب الدينامي للظاهرة، وقد أنتجت جهود "سيمان" الفكرية حول موضوع الاغتراب تفكيكه ليشمل خمسة أنواع مختلفة وهي: "العجز powerlessness"، و"فقدان المعنى meaninglessness"، و"فقدان المعايير normlessness"، و"العزلة isolation"، و"اغتراب الذات Self-estrangement".

تناول "سيمان" مفهوم الاغتراب من الناحية الاجتماعية، وشرح بشكل مفصل سمات الاغتراب في دراسته "دوافع الاغتراب في التنظير المعاصر" عام ١٩٨٣، فتعد صحيحة لكيفية دراسة الاغتراب عند علماء الاجتماع لهذه الظاهرة، وهي:

١. العجز (Powerlessness): (فقدان السيطرة)، (اللاقدرة) يشير إلى شعور الفرد بأنه لا يستطيع التأثير على المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها. لا يستطيع الفرد الفاقد للسيطرة أن يقرر مصيره، أو صناعة القرارات المهمة التي تتناول حياته ومصيره، وبالنتيجة يعجز عن تحقيق ذاته. يعتقد الفرد الذي يفقد القدرة بأن ما يحدث معه خارج عن سيطرته وأنه لا يستطيع أن يشكل حياته لهذا فإنه لا يرى بأن ما يقوم به يكتسي أهمية في المجتمع

٢. فقدان المعنى (Meaninglessness): أو اللامعنى وهو شعور الفرد بأنه يفتقر إلى مرشد أو موجه للسلوك والاعتقاد. يشعر الفرد المغترب بالفراغ نتيجة عدم توافر أهداف أساسية تعطيه معنى لحياته، تحدد اتجاهاته من الوجود وتحفز نشاطاته.

٣. فقدان المعايير (Normlessness): أو "الأنومي Anomie" تشير هذه السمة إلى حالة اللامعيارية الذي تتحطم فيه المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد، إن لا تؤدي المعايير وظيفتها كقواعد للسلوك، إذ إن هذه المعايير ليست مؤثرة ولا تؤدي وظيفتها كقواعد للسلوك. ويأتي اغتراب الفرد هنا بسبب تدهم أو تغير العادات الاجتماعية التي كانت تحكم حياته، وتولي عليه التصرفات الجائزة والممنوعة.

٤. الغزلة (Isolation): أو "الغزلة الاجتماعية Social Isolation" تُعبر عن شعور الفرد بأنه غير مرتبط بشكل هادف بمجتمعه عبر القيم والمعتقدات والممارسات المشتركة أو عندما لا تكون لديه علاقات اجتماعية ذات معنى مع الآخرين. والاغتراب هنا يشير إلى شعور الفرد بالغربة عن الأهداف الثقافية للمجتمع. وعن المجتمع بشكل عام.

٥. الغربة الذاتية (Self-Estrangement): تعني النفور من الذات، إذ يشير هنا الاغتراب إلى الشعور الذي ينتاب الفرد بعجزه عن العثور على أنشطة تمنحه الرضا والراحة الذاتية. يؤدي هذا الاغتراب إلى فقدان الفرد لارتباطه بذاته الحقيقية، فيتحول مع الوقت إلى مجموعة من الأدوار المتعددة، من دون القدرة على التعبير عن جوانب حقيقية من شخصيته. في بعض الحالات النادرة، يمكن للفرد أن يشعر بوجوده الحقيقي فقط عندما يتنازل عن مصالحه ورغباته الشخصية لتلبية توقعات الآخرين أو المعايير الاجتماعية (Seeman, 1983).

يربطُ "سيمان" العجز بالاغتراب الذي قصده "ماركس" حول حالة العمال، والذين يغتربون عن منتجاتهم، ويشرحه على أنه عدم قدرة الفرد السيطرة على نتائج الأحداث من حوله، وإن سمة فقدان المعنى مستمدة من مناقشات "مانيهايم" حول "العقلانية الجوهرية" و"الوظيفية" ويعرفها بأنها توقع منخفض الإمكانية للتوصل إلى التنبؤات المرضية حول النتائج المستقبلية للسلوك، أما بالنسبة لسمة فقدان المعايير فهي مرتبطة بفكرة "الانومي" عند "دوركايم"، يرى بأنه يُشير إلى الانفصال عن معايير المجموعة أو شعور الفرد بأن ليس له هدف معين، وبالنسبة للعزلة يرى أن اغتراب الأفراد عن المجتمع بشكل كامل والسمة الخامسة هي الاغتراب الذاتي وهو أن يقوم الفرد بجعل نفسه حجة من أجل الابتعاد عن الآخرين. (Howard, 1991)، وتوصل إلى أن دراسة هذه الأبعاد سوف يؤدي إلى قياس كل بعد بشكل مستقل يساهم في فهم العلاقات فيما بينها، ويقود لاحقاً إلى تفسير العلاقات الإنسانية. (Seeman, 1983).

تعرضت أفكار "سيمان" حول الاغتراب إلى مجموعة من الانتقادات، وعلى الرغم من تأكيد انقاده على ضرورة فهم ظاهرة الاغتراب في إطارها الاجتماعي عبر ربطها بمختلف الظواهر الاجتماعية، إلا أن تقويمهم لأنواع الاغتراب التي قام بتفكيكها كونها مواضيع مستقلة بعضها عن بعض، يمكن دراستها من أجل تفسير ظاهرة الاغتراب.

عرف مفهوم الاغتراب تطوراً مهماً في هذه المرحلة أي تحول من مجرد مفهوم "نظري" إلى مفهوم "تطبيقي" أو ظاهرة اجتماعية. وقد أدى هذا التحول إلى تعدد في فهم موضوع الاغتراب وتفسيره. لقد ظهرت تفسيرات متنوعة للاغتراب، وتم ربطها بعوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية. وعدها فكرة متعددة الأوجه والتطبيقات. كما تم التركيز أكثر على الجوانب السلبية للمفهوم. كما قام علماء الاجتماع بتسليط الضوء على جوانب مختلفة ومعقدة لهذه الظاهرة الاجتماعية.

انطلقت هذه المرحلة بأفكار "ماركس" الذي عد الاغتراب ظاهرة اجتماعية تاريخية تتمحور حول استغلال الإنسان في ظل النظام الرأسمالي. كما يعرض "دوركايم" الذي ربطه باللامعيارية تركيزه على غياب المعايير الاجتماعية وتفكك الروابط الاجتماعية. لتأتي بعده تحليلات "فيبر" الذي حلل الاغتراب ضمن سياق التنظيمات البيروقراطية وتأثيرها على الفرد والمجتمع. وذهب "بارسونز" إلى أنه محصلة لاختلال التوازن في النسق الاجتماعي. كما استند "فروم" إلى مفهوم الحرية في تحليله موضوع الاغتراب. وحلل "ميرتون" في دراسته للاغتراب مفهوم "الانومي" وربطه بالصراع بين الأهداف والوسائل المتاحة. وأخيراً فقد قدم "سيمان" تحليلاً شاملاً للاغتراب، بوصفه مصادرة لامتيازات ووسائل القرار.

تمكن علماء الاجتماع من تعزيز فهمنا حول الاغتراب، ويُلاحظ بأن تحليلاتهم المتنوعة أسهمت بشكل كبير في تسليط الضوء على جوانب عدة لموضوع الاغتراب. بشكل عام أسهمت التفسيرات المتنوعة في فهم موضوع الاغتراب بشكل عميق وأكثر شمولية، ويعطي هذا التنوع في التفسيرات ثراء معرفي الاغتراب، كونها فكرة لتفسير نتائج التحولات الاجتماعية والنفسية في المجتمعات الحديثة، وذلك يتيح لنا إمكانية فهمها وتفسيرها بشكل أفضل.

٤. المرحلة الرابعة: (المرحلة الإسلامية):

أنتج التنظير الفلسفي والسوسيولوجي لمفهوم الاغتراب في بعض الاتجاهات الفكرية وجود قيم سلبية قد نهى عنها الله سبحانه وتعالى؛ لأنها تؤدي الى خلل في الفرد والمجتمع، وعليه لابد من الوقوف والعودة في هذه المرحلة الى ما تم عرضه حول موضوع الاغتراب في سياق موروث المنظومة الإسلامية، وكيفية معالجة مفهوم الاغتراب فلسفياً واجتماعياً. ولو تتبعنا المعاني المختلفة لمفهوم الاغتراب، فسند أنما معانٍ تردت كثيراً في مؤلفات وكتابات المفكرين المسلمين، وليست وليدة العصر الحديث، كما اعتقد بعض الباحثين المعاصرين (مراد، ٢٠١٥).

جاء في حديث الإمام "مسلم" عن أبي هريرة عن النبي محمد ﷺ: "إن الإسلام جاء غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"، فقل يا رسول الله من هم الغرباء، قال ﷺ: هم الذين يصلحون إذا أفسد الناس، وفي لفظ آخر: يصلحون ما أفسد الناس من سنتي. والمقصود بالغرباء هم أهل الاستقامة الذين يصلحون عند فساد الناس (شرح حديث بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً)، مسترجع من الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز).

٤.١ الاغتراب عند ابن القيم الجوزية (١٢٩٢-١٣٥٠):

يُفرق ابن القيم بين الغربة والاعتراب، وقد بدأ بتعريف الغربة، و يستشهد في باب الغربة من كتابه "مدارج السالكين" بقول الله تعالى (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) [سورة هود: الآية ١١٦]، ويدل ذلك على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة وهم الذين أشار إليهم النبي محمد ﷺ في الحديث السابق ذكره. وقد قسم "ابن القيم" الغربة الى ثلاثة أقسام، الأولى: هي غربة أهل الله وهي الغربة التي مدح النبي ﷺ أصحابها، والثانية: هي غربة أهل الباطل وهي غربة مذمومة وهي وليدة الانفصال عن الخالق، والثالثة: هي غربة مشتركة لا تُحمد ولا تُذم وهي الغربة عن الوطن. (شبايك، ٢٠٠٧)

ويعرف ابن القيم الاغتراب على انه كل من انفرد بوصف شريف من دون أبناء جنسه فإنه غريب بينهم لعدم مشاركته أو لقتله. في نفس كتابه "مدارج السالكين" يرى بأن الاغتراب أمراً محموداً ومستحباً ومطلوباً؛ لأنه يعد حالة وجدانية عميقة للعابد، ستؤدي به إلى ان يغترب عن الناس ليمهد لنفسه طريقاً إلى ربه سبحانه وتعالى، فيقول: "فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرّد فإنّه والله عين العزّة، الصادق كلّما وجد مسّ الاغتراب، وذاق حلاوته، وتنسّم روحه؛ قال: اللهم زدني اغتراباً، ووحشة من العالم، وأنساً بك"، وعليه فإن الاغتراب ضرورة للوصول الى الحقيقة والغاية، وأن يأنس الفرد المؤمن بربه (عاشور، دون تاريخ للنشر).

٤.٢ الاغتراب عند ابن باجة الأندلسي (١٠٨٥-١١٣٨):

نجد أن "ابن باجة" كان من أهم فلاسفة عصره الذين كتبوا عن مسألة الاغتراب، وافردها كتباً خاصة تدعو إلى إعمال العقل والتأمل في حياة التوحد والاعتراب. فقد أورد في كتابه "تدبير المتوحد" حديث حول نوع مختلف من الغربة، وهي: غربة العقل كما انه تحدث عن غربة النخبة المغترية والتي أطلق عليها مسمى "النوابت"، ويرى بأن "النوابت" غرباء، وإن كانوا في أوطانهم وبين أهلهم وجيرانهم، وذلك؛ لأنهم سافروا إلى مراتب أخرى أصبحت لهم أوطاناً. فقد تطرق إلى هذا في كتابه بوصف الإنسان المغتراب والمتوحد المتضمن في تجربته الفكرية عن ذاته وعن كل ما يتعلق بالعقلانية والمنطق في سياق حياة. إن لفظ المتوحد، تُطلق عادة على من يبتعد عن المجتمع وينزوي في زاوية منه مختلياً بنفسه ومفضلاً حياة الزهد، كما يمكن أن تطلق هذه اللفظة على من بعد عن وطنه وعاش حياة الاغتراب. (عبد الفتاح، ٢٠١٤)

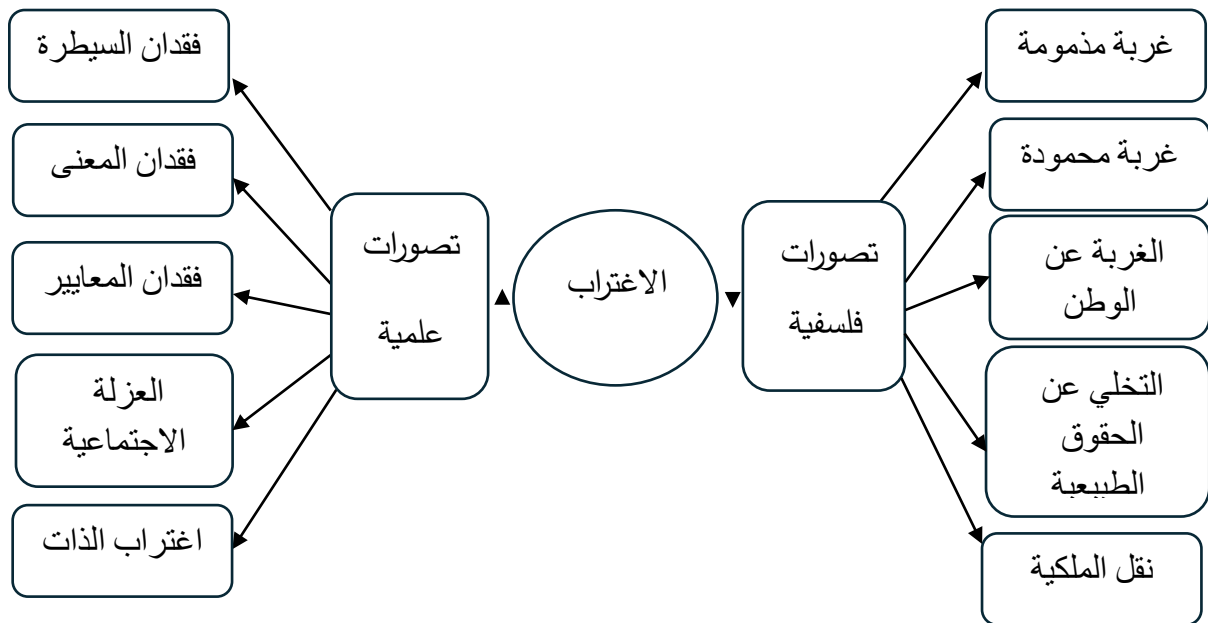
يربط "ابن باجة" النوابت بالمدينة الفاضلة التي يرى بأن أفعالها كلها صواب ولا يتغذى أهلها بالأغذية الضارة فلذلك لا يحتاجون إلى معرفة أدوية، وعلى أهلها أن يتمتعوا بالرياضة، إذ لو أسقطوا الرياضة حدثت عن ذلك أمراض كثيرة. ويرى أن من خواص المدينة الفاضلة ألا يكون فيها طبيب ولا قاض. وقول بأن وجود النوابت هو سبب لوجود المدينة الفاضلة، وذلك كونهم سيجمعون على رأي واحد ومعتقد واحد فتزول غريبتهم وتدوم عليهم السعادة (الفيومي، ١٩٨٤).

٤.٣ الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي (٩٢٣-١٠٢٣):

لقد عاش "أبي حيان" في القرن الرابع الهجري حيث كانت الأجواء السياسية والثقافية أحد الأسباب التي جعلته يعيش حالة من الاغتراب بكل أوجهه، إذ كان منبوذاً؛ لكونه صريحاً مع الطبقة الحاكمة والوزراء ولا يُجاملهم. وكان منفصلاً فكرياً عن بني عصره وكان

رافضاً للوضع السائد. ويُشير "أبي حيان" إلى أنَّ اغتراب الذات عن ذاتها يجعلُ منها مغتربة في محيطها الاجتماعي، وبذلك لا يُمكنها أن تؤوّل العالم. ويُضيف بأن اغتراب الشخص هو اغتراب في الزمن. فبالنسبة له أنَّ الاغتراب ما هو إلا حالة انعزال عن الواقع بتفكير خاص وحضور خاص، ونجدُ بأنه عايش الاغتراب، وعانى من تبعاته، وأصبحت شخصيته انعكاساً تاماً وواضحاً عن الإنسان المغترَّب في وجوده الحقيقي. (ملكية ومحمد، ٢٠٢٢)

صنّف "أبو حيان" الاغتراب الى أربعة أنماط، النمط الأول: هو الاغتراب المكاني والذي يُقصد به الاغتراب عن الوطن، النمط الثاني: هو الاغتراب النفسي والذي يُقصد به الحالة التي تتعرضُ فيها وحدة الشخصية للانحطاط أو للضعف والانهيار، النمط الثالث: هو الاغتراب الاجتماعي الذي ظهرَ نتيجة عدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية صحية، النمط الرابع: هو الاغتراب الصوفي ويعني العكوف على العبادة. ومن نتائج الاغتراب عند أبي حيان هي: الشكوى، والتشاؤم، والذم (سهيلة، ٢٠٢٢).



بالاستناد إلى ما تمّ عرضه، يظهر أنَّ الاغتراب قد وردَ في الأحاديث النبوية، كما يتضحُ لنا بأنَّ مفهوم الاغتراب عندَ فلاسفة الفكر الإسلامي أدركوا أنَّ الاغتراب يمتدُّ لجوانب متعددة في حياة الفرد سواء أكانت مكانية أم نفسية أم اجتماعية أم حتى روحية، وقد تم تصنيفه وتفصيله بشكل دقيق. عد الاغتراب في بعض الحالات حالة محمودة تُشجع على الاتصال مع الله سبحانه وتعالى، في حين في حالات أخرى يُنظر إليه على أنه حالة ضارة تؤدي إلى الشكوى والتشاؤم. ويمكن أن يكون الاغتراب إيجابياً كما يراه "ابن القيم"، وقد يكون سلبياً كما يراه "أبو حيان"، وفي الوقت نفسه يُمكن أن يكونَ عملية تحدي للواقع والبحث عن الحقيقة كما يُعبّر عنه "ابن باجة".

انطلاقاً من التصورات الفلسفية والعلمية التي سبق التعرض لها حول موضوع الاغتراب يمكن اقتراح النموذج النظري المبين في أدناه والذي يعكس جوانب المفهوم المختلفة.

خاتمة:

يتّضح لنا مما تمّ تناوله حول مفهوم الاغتراب بين المرحلتين الفلسفية والهيكلية الى المرحلة العلمية وختاماً بالمرحلة الإسلامية، عملية الانتقال من التصور الفلسفي الذي يهتم بدور السياق الديني، القانوني والاجتماعي في تشكيل تصور نظري للعلاقة بين الفرد والمجتمع والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والبنى الاجتماعية المختلفة، والى التصور العلمي الذي يُنظر إليه بوصفه ظاهرة اجتماعية تاريخية تمت معالجتها ضمن أطر اجتماعية وتنظيمية مختلفة.

يُمكننا القول بأنّ انتقال موضوع الاغتراب من الفكر الفلسفي الى علم الاجتماع كان له قيمة علمية كبيرة في فهم أفضل لفكرة الاغتراب، لذا هذا التحول يعكس تطور الفكر والاهتمام الكبير بهذا الموضوع. لابد من إدراك أهمية التفاعل بين الفلسفة وعلم الاجتماع يساهم في إثراء الفهم حول مختلف جوانب الحياة. كما لا يمكننا تحليل موضوع الاغتراب في علم الاجتماع إلا بالعودة الى جذوره الفلسفية وفهم آلية تحوله من كونه فكرة إلى ظاهرة اجتماعية.

تبنى الفلاسفة الأوائل مفاهيم أولية ونظرية للاغتراب متمثلة بالسياقات الثلاثة، الديني، القانوني، النفس اجتماعي. يرى "جروتوس" بأن الاغتراب يرتبط بنقل ملكية السلع من فرد الى فرد آخر نظر "هوبز" الى الاغتراب كونه جزءاً من طبيعة الإنسان، ونظر إليه "لوك" على أنه نتيجة انتهاك الحقوق الطبيعية، أما بالنسبة "لروسو" فيرى بأن الاغتراب نتيجة التغيرات الاجتماعية المصاحبة للثورة الصناعية. ومن فلاسفة الحق الطبيعي الى "هيجل" الذي عد الاغتراب واقعا وجوديا متجذرا في الإنسان مرتبطاً بتحويلات الوعي الإنساني. مع تقدّم العلم وظهور علم الاجتماع كعلم مستقل، قام علماء الاجتماع بتطوير فكرة الاغتراب لتشمل جوانب اجتماعية وثقافية واقتصادية للظاهرة. كما بدأوا بتحليل الظاهرة بطرائق تطبيقية وتوجيهها نحو فهم الآليات الاجتماعية التي تؤدي إلى الظاهرة. وقاموا بنقل دراستهم من كونها أعمالاً فلسفية إلى جانب البحث العلمي والتحليل الاجتماعي، والذي ساهم في تقديم فهم أعمق حول ظاهرة الاغتراب في المجتمعات الحديثة، يأتي ذلك عبر نظرية "ماركس" حول اغتراب العامل وتوظيف فكرة الاغتراب في هذا الإطار، وأيضاً عبر الدراسات الاجتماعية التي عُيّنت بموضوع الاغتراب. والتي قدمها كل من "دوركايم" و"فيبر"، وكذلك عن طريق التوسع في فكرة الاغتراب وربطها بالاختلالات الوظيفية كما هو الحال عند

"ميرتون"، فضلا عن ربط الاغتراب بمفاهيم أخرى عند "فروم". وأخيراً التوسع في المفهوم ليشمل معان عدة كحالة "سيمان". وبالعودة الى الفكر الإسلامي نرى بأن "ابن القيم" عرف الاغتراب على أنه كل من انفرد بوصف شريف من دون أبناء جنسه. ويرى ابن ماجه أن الاغتراب نوع من التفكير والتأمل في حياة التوحد، إذ اعطى المفهوم بعداً فلسفياً مرتبطاً بالمدينة الفاضلة وحياة النوايت. ويرى أبو حيان التوحيدي أن الاغتراب يعد مظهراً للانعزال عن الواقع والزمن.

المصادر باللغة العربية:

١. بريشي، مريامة ويوب، نادية. (٢٠١٥) الاغتراب، مفهوم ودلالات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع١٨، ١٩٧-٢٠٦.
٢. بن زاهي، منصور والشايب، محمد. (٢٠٠٦) مظاهر الاغتراب الاجتماعي لدى طلبة جامعة ورقلة، مجلة العلوم الإنسانية، ع ٢٥، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
٣. بنات، بسام. (٢٠٠٥) ظاهرة الاغتراب لدى طلبة الثانوية العامة في مدينة الخليل وعلاقتها ببعض المتغيرات. مجلة جامعة بيت لحم، مج ٢٤، ٩٠-١٣٢.
٤. الجماعي، صلاح الدين. (٢٠٠٧). الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي. مكتبة مدبولي. القاهرة، ص ٣٩.
٥. جمعة، قاسم (٢٠١١)، النظرية النقدية عند إيريك فروم، ط١، منتدى المعارف، بيروت.
٦. حماد، حسن (٢٠٠٥)، الإنسان المغترب عند اريك فروم، مكتبة دار الحكمة، القاهرة.
٧. خضر، لطيفة (٢٠١١)، التقوى وقهر الاغتراب، ط١، عالم الكتب، القاهرة.
٨. خليفة، عبد اللطيف (٢٠٠٣)، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٩. الرواشدة، علاء والعرب، أسماء. (٢٠٠٩). أسباب ومظاهر الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة وعلاقتها ببعض المتغيرات. مجلة كلية التربية ببور سعيد. ع٦٤. ٥٦-٨٩.
١٠. سهيلة، بومعزة. (٢٠٢٢). رسالة لنيل الماجستير بعنوان: الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي. جامعة مستغانم.
١١. شبايك، سها عبد المنعم منصور. (٢٠٠٧). فلسفة الاغتراب عند ابن قيم الجوزية. فكر وإبداع، ج ٤٠. ٧٥ - ١١٣.
١٢. شتا، السيد علي (١٩٩٣)، نظرية الاغتراب من منظور الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
١٣. الشрман، يوسف محمد. (٢٠١٤) ماهية الاغتراب ومدى شيوع الظاهرة عند طلبة جامعة اليرموك الأردنية، مجلة العلوم الاجتماعية، مج ٤٢، ع ٤٤، ١١٥-١٤٦.
١٤. عاشور، مصطفى. (دون تاريخ نشر). مقالة إلكترونية بعنوان: الاغتراب .. خواطر حول المفهوم مسترجع من <https://islamonline.net>
١٥. عايدي، جمال. (٢٠٢٢) مدى تأثير الشباب بظاهرة الاغتراب الاجتماعي، مجلة آفاق للعلوم، مج ٧، ع ٤٣٨٦-٤٠٠.
١٦. عبد الفتاح، هاني محمد. (٢٠١٤). جدلية الاغتراب بين ابن باجة وابن طفيل. مجلة كلية الآداب. ع ١٠٤. ٦١٤ - ٦٥٠.
١٧. فروم، إريك (٢٠٠٦) المجتمع السوي (ترجمة محمود الهاشمي)، دار الحوار والنشر، اللاذقية، (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٥٥).
١٨. الفيومي، محمد إبراهيم عطا. (١٩٨٤). ابن باجة وفلسفة الاغتراب. دراسات عربية وإسلامية. ج ٣. ٢٣ - ٤٩.

١٩. القرآن الكريم، سورة هود: الآية ١١٦.
٢٠. القريناوي، وآخرون. (٢٠٢٣) الاغتراب رؤية سوسيوأنثروبولوجية، مجلد الدراسات الافريقية، ع٣، ج٢، ٤١٩-٤٥٨.
٢١. كيران، جازية. (٢٠٠٩) الاغتراب: دراسة تحليلية، مجلة التربية، ع ١٣٩، ج٢، ٢٨٧-٣٠٣.
٢٢. ليلة، علي (٢٠١٤)، النظرية الاجتماعية الحديثة ("الأنساق الكلاسيكية")، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٢٣. المحسن، محسن والسعوي، محمد. (٢٠١٥) الاغتراب لدى طلاب المنح الوافدين بجامعة القصيم: مظاهره وسبل مواجهته، مجلة العلوم العربية والإنسانية، مج ٨، ع ٤، القصيم، السعودية: جامعة القصيم.
٢٤. مراد، بركات محمد. (٢٠١٥). مفهوم الاغتراب بين الفكر الغربي والفكر العربي والإسلامي. علامات في النقد. ج٨٤. ٢٧٩-٣٠٩.
٢٥. ملكية، عمرو ومحمد كبير. (٢٠٢٢). مشكلة الاغتراب في فلسفة أبو حيان التوحيدي. مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية. ج٧. ع٢. ٦٣٥ - ٦٤٥.
٢٦. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت.
٢٧. الموسوي، محمد محي (٢٠١٧)، تلفزيون الواقع وظاهرة الاغتراب الثقافي عند الشباب الجامعي، ط١، دار الكتاب الجامعي، العين.
٢٨. الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، شرح حديث بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً مسترجع من <https://binbaz.org.sa/fatwas>
٢٩. ميلود، ولد الصديق (٢٠١٤)، الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، ط١، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان.
٣٠. الناصر، علي بن ناصر. (٢٠١٩) واقع الاغتراب لدى الطلاب الوافدون في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. مجلة البحث العلمي في التربية، مج ٢٠١٩، ع ٢٠، ج٢، ٣٧٣-٤٢١.
٣١. يوسف، إيمان أبو شاهين. (٢٠٢٣). مقالة إلكترونية بعنوان: الغربة والاغتراب. مسترجع من <https://www.opinedigest.com>

References

1. Chugh, Pinki, and Rashmi Gupta. .(2020) Alienation in Modern Society. Mukht Shabd Journal, 9.
2. Finnis, J. (2007). Natural law theories.
3. Hegel. (1979). Phenomenology of Spirit, Clarendon Press, Oxford University Press.
4. Hobbes, Thomas. (1998). Hobbes: On the citizen. Cambridge University Press.
5. Howard, Elizabeth. (1991). Alienation among international students (Doctoral dissertation, Oklahoma State University).
6. Locke, John. (1988). Second treatise. Two treatises of government, 141.
7. Marx, Karl.)1844("Comment on James Mill," Economic and Philosophical Manuscripts of 1844
8. Merton, R. K. (1938). Social Structure and Anomie. American Sociological Review, 3(5), 672–682.
9. Rousseau, Jean-Jacques.)1984.("A Discourse on Inequality." Penguin Classics.
10. Sarfraz, Hamid. (1997). Alienation: A Theoretical overview. Pakistan Journal of psychological Research Vol.12, Nos.1-2, pp 45-60.
11. Seeman, Melvin. (1959). On the meaning of alienation. American sociological review, 783-791.
12. Seeman, Melvin. (1983) Alienation motifs in contemporary theorizing: the hidden continuity of the classic themes. Social Psychological Quarterly, 46, 171-184.